

الكشاف

" وعد ا " مصدر مؤكد كقولك : لك علي ألف عرفا : لأن معناه : اعتراف لك بها اعترافا
ووعد ا ذلك وعدا ؛ لأن ما سبقه في معنى وعد . ذمهم ا D بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله
في أمر الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب . وعن الحسن . بلغ من حدق أحدهم أنه
يأخذ الدرهم فينقره بأصبعه فيعلم أربيء هو أم جيد . وقوله : " يعلمون " بدل من قوله :
" لا يعلمون " وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده
ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا .
وقوله : " طاهرا من الحياة الدنيا " يفيد أن للدنيا طاهرا وباطنا فطاهرها ما يعرفه
الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها . وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة :
يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة . وفي تنكير الظاهر : أنهم لا يعلمون إلا
طاهرا واحدا من جملة الطواهر . وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ . و " غافلون " خبره
والجملة خبر هم الأولى وأن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى . وأية كانت فذكرها
مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع .
" أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق ا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأحل مسمى وإن
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون " " في أنفسهم " يحتمل أن يكون طرفا كأنه قيل :
أولم يحدثوا التفكير في أنفسهم أي : في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكير لا يكون إلا في
القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك : اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن
يكون صلة للتفكير كقولك : تفكر في الأمر وأجال فيه فكره . و " ما خلق " متعلق بالقول
المجذوف معناه : أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول . وقيل : معناه فيعلموا لأن في الكلام
دليلا عليه " إلا بالحق وأجل مسمى " أي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمه بالغة و
لتبقى خالدة : إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من
أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب . ألا ترى إلى قوله تعالى :
" أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون " المؤمنون : 115 كيف سمى تركهم غير
راجعين إليه عبثا . والباء في قوله : " إلا الحق " مثلها في قولك : دخلت عليه بثياب
السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد : اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك
عنها . وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فإن قلت : إذا جعلت "
في أنفسهم " صلة للتفكير فما معناه ؟ قلت : معناه : أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي
أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها

فتدبروا ما أودعها اﻻ ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسام حسنا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الإنتهاء إلى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم : الأجل المسمى .

" أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان اﻻ ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "